



بشهامة الملوك وخلق العظماء

الملك عبدالعزيز طرد الحامية العثمانية من الأحساء من غير أن يريق قطرة دم واحدة

لم يكن استرداد المؤسس الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود (طيب الله ثراه) للأحساء، استردادًا محقًا لمُلك آبائه وأجداده فحســب، بل تحولًا استراتيجيًّا عميقًا في الصراع بين أبناء الجزيرة العربية والمستعمر العثماني، سمع صداه في الجزيرة العربية كلها، ولعل المدينة المنورة كانت أولى تلك المدن بعد الأحســاء، التي انتفضت في وجه المحتل التركي خلال الفترة من العام (1914- 1918)، بعدما ســمعت عن الانتصار المذهل للملك عبدالعزيز على العثمانيين، وبذلك ســقطت أسطورتهم وأصبح من الممكن هزيمتهم واستعادة الحرية المغتصبة من المحتل التركي.

كانت الأحسـاء إقليمًا أصيلًا من أقاليم الدولتين السـعوديتين الأولى والثانية، بل كانت عمقًا اســتراتيجيًّا للدولة، في ظــل التغيرات الدولية التــي كانت تدور في العالم العربــي في تلك المرحلة التاريخية العصيبة، فالإنجليز أصبحوا على شــواطئ الخليج العربي، ومن الخطر إبقاء الأحســاء لقمة سـائغة يمكن أن يحتلوها ذات يوم، والفرنسيون على وشــك الدخول إلى الشام، والعثمانيون- الرجل المريض- يتراجعون ويهزمون في كل المعارك السياسية والاقتصادية والسياسية، وتئن دولتهم من وطأة الانهيار الســريع، وهي التــي لطالما اغتصبت الأراضي العربية، وســاومت عليها بل قايضت بها ملكها كما حصل في ليبيا وفلسطين والعراق.

ذلــك التمدد، وذراعًــا لبطش العثمانيين على ســواحل الخليج العربي، ولذلك استرد المؤسس الملك عبدالعزيز الأحساء ليستتب الأمر فيها. ونظرًا لانقطاع التواصل بين الحاميات التركية، ووالى الترك في العراق، تحوّلت الحاميات إلى مكونات عسكرية مجردة هامشية معزولة وسط الصحراء، ليس لها قيمة اســتراتيجية، خاصة مع وصـول الأخبار عن هزائـم الدولة المركزيـة في البلقان وليبيا وأرمينيا وعلى الحدود الروسية، لكن الأتراك كما هـم، لا يتغيرون، فقد حاولوا كثيرًا إحداث الفرقة ونشـر الفتن بين السـكان من حاضرة وباديـة، من أجل تفريق كلمتهم، وضمان بقائهم تحت سيطرة المحتل. لكن ذلــك دفع الوضع إلى مزيد من التدهــور، فحوّل ذلك أفراد الحاميات التركية إلى شــركاء لقطاع الطرق، وأعانوا اللصوص على الغارات، واقتسـموا معهم ما سـلبوه، وعلى الأرض كان السكان

كانــت الحامية العثمانية في الأحســاء جزءًا من

استراتيجيًّا مهمًّا للدولة السعودية في وجه المطامع الاستعمارية سواء من العثمانيين أو الدول الكبرى

كانت الأحساء عمقًا

المحليون متململين جدًا، يعانون أشد المعاناة من ذلك الانفلات الأمني، والضرائب المجحفة، وتعسف العثمانيين في تعاملهم معهم، وأضحوا يتوقون للخلاص على يد المؤسس ليعيد إليهم الأمن والأمان ويزيح عنهم الاحتلال البغيض. قــرأ الملــك عبدالعزيــز المعطيات التي أمامه، والأدوات التي

> خطتـه الطموحة بنـاءً على ما يمكن تحقیقه دون مغامرة ولا اسـتعجال، ولكن من خلال بناء عســكري هرمي، معتمدًا على ثلاثة محاور رئيسة.

> يملكها بعمق ودهاء كبيرين، فوضع

إلى شركاء لقُطّاع الطرق في سرقة الأهالي كما حاولوا نشر الفتن بين الناس أولًا: تحييــد المتمردين غير الواعيــن بالتغيرات الكبيرة العميقة على الأرض وتطور القوة العســكرية للملك عبدالعزيز، ولذلك توجه المؤسس بجيشه إلى موقع ماء يسمى العرمة في شمال الرياض فنزل

تحوّل الجنود الأتراك في الأحساء

السياسية، وإبعادهم عن مواجهة تحركاته باتجاه الأحساء. ثانيًا: اســتخدام الدهاء في التعامل مع العدو العثماني، فعند اقترابه مع جيشه من الأحساء أرسل إليه المتصرف التركي أحمد نديم، يســأله عن غايته من قدومه إلى هــذه الناحية، فأجابه بأنه يريد غزو قومٍ معادين له وأضاف المؤســس رحمه الله: "وأريد شراء الطعام لتموين الجيش"، ولتأكيد الخدعة أرسل بالفعل بعض الرجال فاشـــتروا كمية من التمر والأرز. لقد كانت خطة محكمة ودهاء عربيًّا لا مثيل له،

فالحرب خدعة كما وصفها الرسـول الكريم صلى الله عليه وسـلم، وكان لابـد من التخطيط لمعركة

به، بهدف اســتدعاء المقاتلين غير المنضمين للمشروع الوحدوي نتيجة لقلة الوعي وانعدام المعرفة

مصيرية بمثل هذه التكتيكات التي تصرف نظر المحتل لحين اكتمال الجهد العسكري. ثالثًا: تمهيد الأرض قبل الدخول من خلال استعادة التحالفات المحلية وولاء العائلات والسكان، ولبناء الثقة معهم أرسل الرسل للعائلات والقبائل التي تحمل الولاء الكامل للمؤسس وآل سعود الكرام قبل وصوله، فقد كانت الأحسـاء تعاني أشد المعاناة من انفلات الأمن وتصرفات المحتل، وهي تتذكر بكثير من الحنين الأمن الذي سادها في عصر الدولتين السعوديتين السابقتين، وبالفعل استطاع المؤسس بتلك الخطة تسهيل استرداده الأحساء ودخوله دون مخاطرة بالسكان الآمنين.

أما عن أهمية دخول الأحســـاء فيضعها المؤرخ الســعودي عبد الله العثيمين في كتابه تاريخ المملكة العربية السعودية في عدة نقاط: أُولًا: لأنها كانت جزءًا من الدولتين الأولى والثانية، ومن ثم فهو يعيد إقليمًا أصيلًا إلى بلاده.

ثانيًا: أن احتلال العثمانيين عام (1870)، كان بســبب خديعة منهم إذ استغلوا الاضطرابات والخلافات آنئذٍ وتسللوا إلى البلاد السعودية.

وتحرير بلاده. رابعًا: تلك المنطقة ضرورية لنجد لأنها المنفذ البحرى لتجارتها.

ثالثًا: وقف العثمانيون مع خصوم الملك عبدالعزيز، ومن ثم أصبحوا عائقًا أمام تقدمه لاسترداد ملكه

خامسًا: أنها غنية بمواردها الزراعية والسمكية، ومُهِمَّة بموانئها البحرية تجاريًّا وجُمْرُكِيًّا. سادسًا: دخولها تحت رايته تعزيز لقوته أمام خصومه في شمال بلاده وغربها.

قواته خارجهًا بحيث يسليطر عليها من الداخل، وتبقى المساندة خارجًا لأى ظرف. وسار بستمائة من رجاله في اتجاه الحامية التركية، مخترقًا نخيل الســيفة، وكانت الخطة المتفق عليها بينه وبين أهالي الأحساء تقتضى أن يتجه الملك عبدالعزيز على رأس جماعة مختارة من الجيش نحو فتحة أعدت سلفًا لدخوله من الســور الغربي مما يلي مســجد آل عمير، على أن يتعاقب على إثره دخول رجاله في شكل جماعـات صغيرة ومتى اســتكملوا تواجدهم داخــل الكوت، صاروا إلى ثلاث فرق تتخــذ الفرقة الأولى

وصل المؤســس الملك عبد العزيز إلى الهفوف قاعدة الأحســاء الصلبة، وأبقى جزءًا كبيرًا من

مواقعها في أبراج السور، وتتجه الفرقة الثانية لافتتاح بوابة الكوت الشرقية التي تلي السوق، كما تكون

الفرقة الثالثة على أهبة لمهاجمة مقر المتصرف العثماني إذا اقتضت الحاجة. أرســل الملك عبدالعزيز إثر ذلك قوة من جيشــه إلى القطيف، استطاعت أن تدخلها بسهولة دون مصاعب ليسترد القطيف والعقير، وبذلك تم استرداد الأحساء جميعها. بايـع جميع السـكان الملك عبدالعزيز على كتاب الله وسـنة رسـوله، وتعهدوا له بالسـمع والطاعة، وفي هــذه الأثناء كان أتباع الملــك عبدالعزيز قد تمكنوا من الســيطرة على كامل الحامية العثمانية. واستسلم القائد العثماني هو وحاميته، طالبًا من الملك عبدالعزيز الأمن له ولأفراد جيشه،



للملايين، 1985).

إلى بلاده.

فأمّنه الملك الشـهم، على أن يخرج بدون أسلحته الثقيلة، وبالفعل أرسل للعقير ومنها للبحرين، ثم

- 1. أمين الريحاني، تاريخ نجد وملحقاته، ط4 (بيروت: دار الريحاني، 1970). 2. حافظ وهبه، جزيرة العرب في القرن العشرين (د.م: لجنة التأليف والترجمة، 1935). 3. خير الدين الزركلي، شـبه الجزيرة في عهد الملك عبدالعزيز، ط3 (بيروت: دار العلم
- 4. عبـد الله العثيميـن، تاريخ المملكة العربيـة السـعودية، ط 12 (الرياض: مكتبة العبيكان، 2003).
- 5. محمد بن عبدالله العبدالقادر الأنصاري، تحفة المستفيد بتاريخ الأحساء في القديم والجديد، ط2 (الرياض: مكتبة المعارف، 1982).

6. مذكرات مدحت باشا، ترجمة: يوسف كمال حتاته (القاهرة: المطبعة الهنديّة، 1913).